الغرور والأماني

علي طه عبد الله العلي الكعبي

الغرور والأماني

جمع وإعداد الفقير إلى عفو ربه
علي طه عبد الله العلي الكعبي
غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فقد جمعت بعض الفوائد للتذكرة، وأسأل الله أن ينفعني والمسلمين بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبلها منّي.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته: علي طه عبد الله العلي الكعبي

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: 44)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} من الدنيا ولذاتها وغفلاتها. {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (الأنعام: 119)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: بقوله جل ثناؤه: مخبرًا عن قيل الشيطان المريد الذي وصف صفته في هذه الآية: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ}

أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل.

{وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ} أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُم} {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم} {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} الآية. وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: { أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} وقوله: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنبه ببعض ذلك على جميعه، وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام

الجائرة ما هو من أكبر الإضلال. {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك، والكفر، والفسوق، والعصيان. فإن كل مولود يولد على الفطرة، ولكن أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته. فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئاب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة

الخاسرة، ولهذا قال: {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي. كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.

*****

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا.. ﴾ (الأعراف: 51)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: {لَهْوًا وَلَعِبًا} أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخريا، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن الدين القيم. {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزينتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها. {فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ}

أي: نتركهم في العذاب {كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا} فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء.

*****

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (يونس: 7)

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: قول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤملون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بدلا عن الآخرة. (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون. {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} فلا ينتفعون بالآيات القرآنية،

ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود.

*****

في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر:3)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: فـ {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا} بلذاتهم {وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ} أي: يؤملون البقاء في الدنيا فيلهيهم عن الآخرة، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} أن ما هم عليه باطل وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ولا يغتروا بإمهال الله –تعالى– فإن هذه سنته في الأمم.

*****

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: 39)

قال السعدي: بقوله جل ثناؤه: مخبرًا عن قيل الشيطان المريد الذي وصف صفته في هذه الآية: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} أي: أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى، حتى

يكونوا منقادين لكل معصية. {وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} أي: أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم.

*****

في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ، مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ.. ﴾ (الأنبياء: 1-2-3)

قال السعدي في تفسيره: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوا له، وإعراض عما زجروا به. كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا. وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} يذكرهم ما ينفعهم ويحثهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه { إِلَّا اسْتَمَعُوهُ } سماعا، تقوم عليهم به الحجة، { وَهُمْ يَلْعَبُونَ}، {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} أي: قلوبهم

غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمعه استماعا، تفقه المراد منه، وتسعى جوارحهم، في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها، ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، وتزكوا أعمالهم.

قال ابن كثير: روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نواس الشاعر أنه قال: أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول: الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن، فقيل له: من أين أخذ هذا؟ قال: من قوله تعالى: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون). (وروى في ترجمة " عامر بن ربيعة "، أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ واديا في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة

لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون).

*****

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: 5)

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشدّه فيموت، ومنكم من يُنْسَأ في أجله فيعمر حتى يهرم، فيردّ من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده، إلى أرذل عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئا.

*****

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون:99-100)

قال السعدي في تفسير هاتين الآيتين: يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله،

وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} من العمل، وفرطت في جنب الله. {كَلَّا} أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، {إِنَّهَا} أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا {كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه.

{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته.

*****

في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 7)

قال السعدي في تفسيره: وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

{وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي اللهّ ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما

أقدرهم اللهّ عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا اللهّ فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

وقال ابن كثير في تفسيره: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة .

قال الحسن البصري : والله لبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره ، فيخبرك بوزنه ، وما يحسن أن يصلي.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّر وَلَا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِّ يَسِير﴾ (فاطر: 11)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: عن ابن عباس في قوله: {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّر وَلَا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير}، يقول: ليس أحد قضيت له طول عمر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ للعمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله: {وَلَا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير}، يقول: كل ذلك في كتاب عنده.

*****

في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: 58)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ} وتجزم بوروده {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً} أي: رجعة إلى الدنيا لكنت {مِنَ الْمُحْسِنِينَ} قال تعالى: إن ذلك غير ممكن ولا مفيد، وإن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لَوْ رُدَّ، بيان بعد البيان الأول.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى:44)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: {وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} مرأى ومنظرًا فظيعًا، صعبًا شنيعًا، يظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، و {يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق:19)

قال البغوي في تفسيره لهذه الآية: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ} غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله {بِالْحَقِّ} أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال لمن جاءته سكرة الموت: {ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} تميل، قال الحسن: تهرب وقال

ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدت عن الشيء أحيد حيدا ومحيدا: إذا ملت عنه.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق:21)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ} يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، {وَشَهِيدٌ} يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها، وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون.

*****

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: 9)

قال الطبري في تفسير هذه الآية: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله {فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.

وقال ابن كثير في تفسيرها: يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال، والأولاد عن ذلك، ومخبرًا لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم، وأهليهم يوم القيامة.

وقال السعدي في تفسيرها: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله {فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

*****

في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: 10)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا، يستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه.

*****

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار:6)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: يقول تعالى معاتبًا للإنسان المقصر في حق ربه، المجترئ على مساخطه: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} أتهاونًا منك في حقوقه؟ أم احتقارًا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

*****

في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: 24)

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: وقوله: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلهُّف ابن آدم يوم القيامة، وتندّمه على تفريطه في الصَّالِحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له، يا ليتني قدمت لحياتي في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه، التي لا موت بعدها، ما ينجيني من غضب الله، ويوجب لي رضوانه.

وقال السعدي في تفسيرها: يقول متحسرًا على ما فرط في جنب الله: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} الدائمة الباقية، عملًا صالحًا، وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

*****

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (رواه البخاري في صحيحه: 6412)

*****

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. (رواه البخاري في صحيحه: 6416)

*****

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (رواه البخاري في صحيحه: 6417)

*****

عن أنس ﵁ قال: «خط النبي ﷺ خطوطًا فقال: هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب» (رواه البخاري في صحيحه: 6418)

*****

عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الْأَمَلِ» (رواه البخاري في صحيحه: 6420، ومسلم في صحيحه: 1046)

*****

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ» (رواه البخاري في صحيحه: 6421)

*****

قال أنس ابن مالك ﵁: قال رسول الله ﷺ: «يَهْرَمُ ابنُ آدَمَ وتَشِبُّ منه اثْنَتانِ: الحِرْصُ علَى المالِ، والحِرْصُ علَى العُمُرِ» (رواه مسلم في صحيحه: 1047)

*****

قال أبو سعيد الخدري ﵁: أنَّ النَّبيَّ ﷺ غرزَ عودًا بينَ يديهِ وآخرَ إلى جنبِهِ وآخرَ أبعدَ منهُ فقالَ: «هل تدرونَ ما هذا؟ قالوا اللهُ ورسولُهُ

أعلَمُ. قالَ: «هذا الإنسانُ وهذا الأجلُ - أُراهُ قالَ: وهذا الأملُ- فيتعاطى الأملَ فلحِقهُ الأجلُ دونَ الأملِ» (رواه ابن حجر العسقلاني في: هداية الرواة بإسناد جيد: 5/ 45)

*****

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور ألوحا ألوحا النجاء النجاء» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 98/ 1)

*****

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 99/ 1)

*****

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ألوحا ألوحا النجاء النجاء إن وراءكم طالبا حثيثا مرّه سريع» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 99/ 1)

*****

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وإن الله – تعالى– ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا

ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله -تعالى- ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمة الله» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 100/ 1)

*****

قال علي بن أبي طالب ﵁: «والأماني تعمي البصائر» (التذكرة الحمدونية: 3/ 117، مجمع الأمثال: 2/ 454)

*****

قال علي بن أبي طالب ﵁: «الدنيا تغر وتضر وتمر، إن الله تعالى لم يَرَ فيها ثواباً لأَوليائه، ولاَ عقاباً لأَعدائه، وإن أهل الدنيا كَرَكْبٍ بينما هم حلولٌ إذ صاح بهم صائحهم فارتَحَلُوا» (مجمع الأمثال: 2/ 455)

*****

قال علي بن أبي طالب ﵁: «مَن أطال الأمل أساء العمل» (مجمع الأمثال: 2/ 455)

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 120/1)

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «أيها الناس! إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل يُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل» (الزهد الكبير - للبيهقي: 193)

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 121/1)

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «ما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا، وليكن همك فيما بعد الموت» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 122/ 1)

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «اتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعميها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ» (صفة الصفوة – لابن الجوزي: 123/ 1)

*****

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما أصبح أحد اليوم إلا وهو ضيف، وماله عاريّة، والضيف مرتحل، والعاريّة مؤداةٌ» (الزهد الكبير - للبيهقي: 223)

*****

قال عمار بن ياسر ﷺ: «كفى بالموت واعظًا، وكفى باليقين غنىً، وكفى بالعبادة شغلًا» (جامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي: 2/ 181)

*****

دخل رجل على أبي ذر ﷺ، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ قال: «إن لنا بيتًا نوجه إليه»، قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا، قال: «إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه» (جامع العلوم والحكم - لابن رجب الحنبلي: 2/ 377)

*****

قال معاذ بن جبل ﷺ لابنه: «يا بني إذا صليت صلاة فصل صلاة مودّع؛ لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدمها، وحسنة أخرها» (الزهد – للإمام أحمد:148)

*****

قال أبو الدرداء ﷺ: «الغِنى قلة التمنِّي، والفَقْرُ شَرَهُ النفس» (مجمع الأمثال: 2/ 456)

*****

قال أبو الدرداء ﷺ: «تأملون وتجمعون، فلا ما تأملون تدركون ولا ما تجمعون تأكلون» (الزهد الكبير - للبيهقي: 195)

*****

قال أبو الدرداء ﵁: «ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك» (الزهد الكبير - للبيهقي: 204)

*****

قال أبو الدرداء ﵁: «اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم في الموتى، واعلموا أن قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم. واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى» (الداء والدواء -لابن القيم 131، ورواه البيهقي في: شعب الإيمان 381/ 7، ووكيع في: الزهد 235، 236)

*****

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني لا تؤخر التوبة؛ فإن الموت يأتي بغتة» (لطائف المعارف - لابن رجب: 344)

*****

قال الأحنف بن قيس: «كثرة الأماني من غرور الشيطان» (بهجة المجالس وأنس المُجالس - لابن عبد البر: 45)

*****

قال مطرف بن الشخير: «إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيمهم، فالتمسوا نعيمًا لا موت فيه» (الزهد - للإمام أحمد: 195)

*****

قال الحسن البصري: «ما رأيت يقينًا أَشْبَهَ بالشك من يقين الناس بالموت وغَفْلَتهم عنه» (مجمع الأمثال: 2/ 456)

*****

قال الحسن البصري: «إنّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: لأني أحسن الظنّ بربي، وكَذَب، لو أحسن الظن لأحسن العمل» (الجواب الكافي - لابن القيم 28)

*****

قال الحسن البصري: «اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت وحسرة الفوت» (لطائف المعارف - لابن رجب: 338)

*****

قال الحسن البصري: «أربع من أعلام الشقاء: قسوة القلب وجمود العين وطول الأمل والحرص على الدنيا» (الزهد - لابن أبي الدنيا: ٣٦)

*****

قال الحسن البصري: «فأمّا الأماني فلا خير فيها ولا في أحدٍ من أهلها» (تعظيم قدر الصلاة - للمروزي: 2/ 675)

*****

قال الحسن البصري: «ما أكثر عبد ذِكر الموت إلا رأى ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل» (كتاب الزهد - لأحمد بن حنبل: 218، رواية رقم: 1528)

*****

كان الحسن البصري يقول: «ما بعد أمل إلا ملّ عمل» (بهجة المجالس - لابن عبد البر: 58)

*****

قال الحسن البصري: «ما بسط الله الدنيا لأحدٍ إلا اغتر، ولا زويت عنه إلا نظر» (كتاب الزهد لأحمد بن حنبل: رواية رقم 1647 ص 232)

*****

قال الحسن البصري: «القلب الذي يُحب الله يُحب التعب، ويُؤثر النَصَب، هيهات، لا ينال الجنة مَن يؤثر الراحة، مَن أحب سخا بنفسه إن صدق، وترك الأماني؛ فإنّها سلاح النّوكى» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 33)

*****

قال الحسن البصري: «حقيقٌ على من عرف أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الجبار مشهده، أن تطول في الدنيا حسرته، وفي العمل الصالح رغبته» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي، ص: 34)

*****

قال الحسن البصري: «إنّ خوفَكَ حتى تلقى الأمن؛ خيرٌ من أمنِك حتى تلقى الخوف» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي ص35)

*****

قال الحسن البصري: «عدّة الكريم: فِعلٌ وتعجيل، وعدّة اللئيم: تسويفٌ وتطويل» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي ص36)

*****

قال الحسن البصري: «ابن آدم! عملك لك، انظر على أي حالٍ تحب أن تلقى عليها ربك؟» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 37)

*****

قال الحسن البصري: «ابن آدم! تعمل بالسيئات، وتتمنى على الله الأماني؟!» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 42)

*****

قال الحسن البصري: «أيها الناس! إيّاكم والتسويف؛ فإنّي سمعت بعض الصالحين يقول: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ثم لا نتوب حتى نموت» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 50، وذكر هذه الرواية الماوردي في أدب الدنيا والدين عن أبي حازم: 102)

*****

قال الحسن البصري: «ابن آدم! تستحلّ المحارم، وتأتي الجرائم، وتركب العظائم، وتتمنى على الله الأماني!!، ستعلم -أي فاجر- حين: {لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 60)

*****

قال الحسن البصري: «لله در بكر بن عبد الله حين قال: الدنيا ما مضى منها فحلم، وما بقي منها فأماني وإثم» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 67)

*****

قال الحسن البصري: «أيها النّاس! إنّ الله لا يُخْدَعُ عن جنّته، ولا يُعطيها أحدًا من عباده بالأماني» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه - لابن الجوزي: 73)

*****

قال الحسن البصري: «أيها الناس! إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لبٍّ فيها بعده فرحًا، فرحم الله من أخذ منها قوتًا وترك الفضل ليوم فاقته وفقره، فكأنّ الموت قد نزل وانقطع العمل، فرحم الله لبيبًا قصر

أمله وراقب أجله» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: 80)

*****

قرأ الحسن البصري: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا}.

ثم قال: «آخر العدد خروج النفس، آخر العدد فراق الأحبة والولد، آخر العدد دخول القبر، فالمبادرة عباد الله إلى الأعمال الصالحة، ثم يقول: عباد الله! إنما هي الأنفاس، لو قد حبست لانقطعت الأعمال التي بها تتقربون، والحسنات التي عليها تتوكلون، فرحم الله امرءًا حاسب نفسه، وخاف ربه، واتقى ذنبه» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: 97)

*****

قال الحسن البصري: «أيها الناس! إنّما لأحدكم نفس واحدة، إن نجت من عذاب الله لم يضرها من هلك، وإن هلكت لم ينفعها من نجا، فاحذروا –عافاكم الله– التسويف؛ فإنّه أهلك من قبلكم، وإنّكم لا تدرون متى تسيرون، ولا إلى أي شيء تصيرون، فرحم الله عبدًا عمل ليوم معاده قبل نفاد زاده» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: 120)

*****

قال الحسن البصري: «ابن آدم! إيّاك والاغترار؛ فإنّك لم يأتك من الله أمانٌ، فإنّ الهول الأعظم والأمر الأكبر أمامك، وإنّك لا بد أن تتوسد في قبرك ما قدّمت، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فاغتنم المبادرة في المهل، وإيّاك والتسويف بالعمل، فإنّك مسؤول، فأعد للمسألة جوابًا» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: 121)

*****

قال الحسن البصري: «إيّاكم والتسويف والتّرجي؛ فإنّه أهلك من كان قبلكم» (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: 131)

*****

قال محمد بن سيرين: «نُهيتم عن الأماني، ودُللتم على ما هو خيرٌ منها لكم، سلو الله من فضله» (بهجة المجالس – لابن عبد البر: 42)

*****

قال عون بن عبد الله: «كم من مستقبل يومًا لا يتمّه، ومنتظر غدًا لا يبلغه، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره؛ لأبغضتم الأمل وغروره»

(الزهد الكبير – للبيهقي: 227، الزهد والرقائق – لابن المبارك: 4)

*****

قال محمد بن الفضل: «الراحة هي الخلاص من أماني النّفس»(الزهد الكبير - للبيهقي: 156)

*****

قال أبو حازم سلمة بن دينار: «كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت».

وقال أيضًا: «ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم» (الزهد الكبير – للبيهقي: 136)

*****

قال وهيب بن الورد: «ويلٌ لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيم بطشه، قليل فطنته، عالم بأمر دنياه، جاهل بأمر آخرته» (الزهد الكبير – للبيهقي: 195)

*****

كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: «مَن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومَن أطلق بصره طال أسفه، ومّن أطلق أمله ساء عمله، ومّن أطلق لسانه قتل نفسه» (الزهد الكبير - للبيهقي: 194)

*****

قال داود الطائي: «سألت عطوان بن عمر التيمي، قلت: ما قصر الأمل؟ قال: ما بين تردد النَفَس. فحدث بذلك الفضيل بن عياض، فبكى، وقال: يقول يتنفّس فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نفسه، لقد كان عطوان من الموت على حذر» (جامع العلوم والحكم - لابن رجب الحنبلي:2/ 384)

*****

قال داود الطائي: «مَن خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومَن طال أمله قصر عمله، وكل ما هو آتٍ قريب» (بهجة المجالس – لابن عبد البر: 530، الزهد الكبير – للبيهقي: 209)

*****

قال مالك بن أنس وسفيان الثوري: «الزهد في الدنيا قصر الأمل» (بهجة المجالس – لابن عبد البر: 511)

*****

قال الفضيل بن عياض: «خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل» (شعب الإيمان - للبيهقي: الطبعة العلمية: 6/ 148)

*****

قال سفيان بن عيينة: «قيل لخالد بن يزيد: ما أقرب شيء، وأبعد شيء، وآنس شيء، وأوحش شيء؟

فقال: أقرب شيء الأجل، وأبعد شيء الأمل، وآنس شيء الصاحب، وأوحش شيء الموت» (المجالسة وجواهر العلم – للدينوري: 364/ 3)

*****

أقام معروف الكرخي الصلاة، ثم قال لرجل: «تقدّم فصلّ بنا. فقال الرجل: إنّي إن صليت بكم هذه الصلاة، لم أصلّ بكم غيرها. فقال معروف: وأنت تُحدّث نفسك أنّك تُصلّي صلاة أخرى؟!، نعوذ بالله من طول الأمل؛ فإنّه يمنع خير العمل» (جامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي: 386/ 2)

*****

قال أحمد بن حنبل: «سبحانك! ما أغفل هذا الخلق عمّا أمامهم، الخائف منهم مُقصِّر، والراجي منهم مُتوانٍ» (شعب الإيمان– للبيهقي: 351/ 1)

*****

قال أحمد بن حنبل: «الزهد في الدنيا: قصر الأمل واليأس مما في أيدي

الناس» (جامع العلوم والحكم - لابن رجب الحنبلي:184/ 2)

*****

قال رجل لزهير بن نعيم الباني: يا أبا عبد الرحمن توصي بشيء؟ قال: «**نعم، احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة**» (صفة الصفوة - لابن الجوزي: 229/ 2)

*****

قال ذو النون المصري: «إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء: الأول: ضعف النيّة بعمل الآخرة، والثاني: صارت أبدانهم مهيئة لشهواتهم، والثالث: غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل، والرابع: آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله، والخامس: اتّبعوا أهواءهم ونبذوا سنّة نبيّهم ﷺ، والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر **مناقبهم**» (كتاب الاعتصام – للشاطبي: 121)

*****

قال الأصمعي: قال لي ابن أبي الزناد: «**المُنى والحلم أخوان**» (بهجة المجالس وأنس المُجالس – لابن عبد البر: 43)

*****

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «طول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه، ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء. وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة. يروى عن أبي الدرداء ﵁ أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: (يا أهل دمشق، ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويأملون بعيدا، فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا)» (تفسير الطبري- الآية:3 من سورة الحجر)

*****

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل

على المبادرة، ويحث على المسابقة» (تفسير الطبري- الآية:3 من سورة الحجر)

*****

قال يحي بن معاذ الرازي: «يا ابن آدم! لا تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت» (شعب الإيمان- للبيهقي:229/ 1)

*****

قال يحي بن معاذ: «لا يزال العبد مقرونًا بالتواني، ما دام مقيمًا على وعد الأماني» (الزهد الكبير – للبيهقي: 231)

*****

قال يحي بن معاذ: «الدنيا خمر الشيطان من سَكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادمًا مع الخاسرين» (لطائف المعارف – لابن رجب الحنبلي 339)

*****

قال محمد بن حبان: «العاقل لا يطول أمله، لأنّ من قوي أمله ضعف عمله، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله» (روضة العقلاء – لابن حبان: 16)

*****

قال محمد بن حبان: «لا عقل لمن أغفله عن أخراه لذّة دنياه» (روضة العقلاء - لابن حبان: 110)

❊❊❊❊❊

قال ابن الجوزي: «انظر حالك الذي أنت عليه إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه، وإن كان لا يصلح لهذين فتب إلى الله -تعالى- منها وارجع إلى ما يصلح» (بستان الواعظين: 193)

❊❊❊❊❊

قال ابن القيم: «كثير من الجهّال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيّعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند» (الجواب الكافي :28)

❊❊❊❊❊

قال ابن القيم: «الرغبة في الدنيا تشتت القلب وتبدد الشمل وتطيل الهم والغم والحزن، فهي عذاب حاضر يؤدي إلى عذاب منتظر أشد منه، وتفوت على العبد من النعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة

في الدنيا» (عدة الصابرين: 265)

*****

قال ابن القيم: «وانما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين: احداهما الرغبة في الدنيا والحرص عليها. والثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة» (عدة الصابرين: 265)

*****

قال ابن القيم: «الرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة فهي أصل معاصي القلب من التسخط والحسد والكبر والفخر والخيلاء والتكاثر» (عدة الصابرين: 265)

*****

قال ابن القيّم: «(الشيطان) دائمًا يترقّب غفلة العبد، فيبذر في قلبه بذر الأماني والشهوات والخيالات الباطلة، فيثمر كل حنظل وكل شوك وكل بلاء، ولا يزال يمدّه بسقيه حتى يُغطّي القلب ويعميه» (مفتاح دار السعادة - لابن القيم: 312/ 1)

*****

قال ابن القيم: «القلب لوح فارغ، والخواطر نقوش تنقش فيه، فكيف يليق بالعاقل أن تكون نقوش لوحهما بين كذب، وغرور، وخدع، وأماني باطلة، وسراب لا حقيقة له» (الداء والدواء – لابن القيم: 361)

*****

قال ابن القيم: «حسن الظنّ بالله هو حسن العمل نفسه، فإنّ العبد إنما يحمله على حسن العمل حسنُ ظنّه بربّه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبّلها منه» (الداء والدواء – لابن القيم: 48)

*****

قال ابن القيم: «حسن الظنّ مع اتباع الهوى عجز» (الداء والدواء – لابن القيم: 48)

*****

قال ابن القيم: «حسن الظنّ ينفع من تاب، وندم، وأقلع، وبدّل السيئة بالحسنة، واستقبل بقيّة عمره بالخير والطاعة، ثم حسّن الظنّ» (الداء والدواء – لابن القيم: 49)

*****

قال ابن القيم: «حسن الظن إن حمل على العمل وحثّ عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور» (الداء والدواء – لابن القيم: 86)

*****

قال ابن القيم: «الرجاء شيء، والأماني شيء آخر، فكلُ راجٍ خائفٌ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات» (الداء والدواء – لابن القيم: 88)

*****

قال إبراهيم بن حمش النيسابوري: «يضحك الأجل من الأمل» (شعب الإيمان – للبيهقي – الطبعة العلمية: 231/ 1)

*****

«إنّ إقامة العبد على الذنب يطبع على قلبه، ويكتب من الغافلين، ومن الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة» (كتاب التوبة – لابن أبي الدنيا: 65)

*****

قال بعض الحكماء: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة

لطول الأمل» (لطائف المعارف - لابن رجب الحنبلي 344)

*****

«الأمل كالسراب غرّ من رآه وخاب من رجاه» (أدب الدنيا والدين - للماوردي: 102)

*****

قال بعضهم: «الجاهل يعتمد على أمله، والعاقل يعتمد على عمله» (أدب الدنيا والدين - للماوردي: 102)

*****

«الاجتهاد في العمل، أصوب من الاتّكال على الأماني» (الأمثال والحكم - للماوردي: 121)

*****

قال بعض الحكماء: «أسوأ النّاس حالًا مَن اتّسعت أمنيته وضاقت مقدرته وبعدت همّته» (بهجة المجالس - لابن عبد البر: 43)

*****

كان يُقال: «من أطال الأمل أمات العمل» (بهجة المجالس – لابن عبد البر: 58)

*****

«مَن جرى في ميدان أمله، عثر في عنان أجله» (بهجة المجالس – لابن عبد البر: 457)

*****

قيل لبعض الحكماء: «ما علامة الجهل؟ قال: حب الغِنى، وطول الأمل، وشدّة الحرص» (المجالسة وجواهر العلم – للدينوري: 435/ 4)

*****

قال عبد العزيز بن باز: «فالغفلة عن الموت وعمّا بعد الموت من أسباب الطغيان والفساد والاستمرار في الشر، أمّا تذكّر الموت وما بعده فهو من أسباب التوبة والإقلاع والاستعداد للآخرة» (شرح بلوغ المرام، كتاب الجنائز، من حديث: "أكثروا ذكر هادم اللذات")

*****

****

ختاما:

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا صوابا لوجهه الكريم ويتقبله مني، وألا يحرمني وقارئه الأجر، وأن يحيينا ويميتنا على التوحيد والسنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

جمعه وأعدّه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته / علي بن طه العلي الكعبي.

15 من محرم 1435هـ